أ.حياة عمارة. مقياس قضايا النص الشعري القديم.س5.

المحاضرة الأولى: النزعة القبلية في الشعر الجاهلي

كان العرب في الجاهلية قبائل متفرّقة تحكمها أعراف قبلية متنوّعة. وكانت العصبية القبلية هي أساس النظام الاجتماعي الجاهلي الداعي إلى نصرة المنتسب إلى القبيلة دون اعتبار لكونه محقّا أو غير محقّ، وبخاصّة أنّ مجتمع القبيلة في العصر الجاهلي بعاداته وأعرافه مجتمع يولد فيه العربي و ينشأ متشرّبا تلك العادات المبنية على دعامة أساسية هي النسب. فهويّته الّتي يحملها في حلّه و ترحاله هي اسم قبيلته ذلك الاسم الّذي يميّزه عن أفراد القبائل الأخرى.

وتجلّت هذه العصبية في كثير من نواحي حياتهم، وكان من أهمّ مظاهرها:

1-الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب:

كان التفاخر والتعاظم بين أهل الجاهلية سمة اجتماعية سائدة، إذ كانت المفاخرة بمآثر الآباء والأجداد وبالسيادة و الريادة أمرا شائعا، بل إنّ اعتزاز الإنسان العربي بنسبه جعله يغلو فيه أحيانا، فلا يرى نسبا يضاهي نسب قبيلته نبلا و شرفا، ولا يرضى أن يتطاول أحد من القبائل الأخرى فيدّعي لنفسه نسبا أشرف من نسبه أو حسبا أشرف أرومة (أصل) منه.

2-الطبقية:

كان أهل الجاهلية يعاملون الناس حسب منازلهم ودرجاتهم، ويعملون مبدأ عدم التكافؤ بين الناس. فقد كان هناك سادة القوم وأشرافهم من أمراء العرب ورجال الدّين ورؤساء العشائر والشعراء...وكان هناك من ينتمون إلى الطبقات الدّنيا كالفقراء والصعاليك وأبناء السبيل والعبيد...وكانت هناك طبقات ترى لنفسها فضلا على غيرها وامتيازا، فتترفّع على الناس ولا تشاركهم غي عادات كثيرة.

3-الأخد بالثأر:

كان من خلق الجاهليين الحرص على الأخذ بالثأر واستثارة الهمم للقتال، ليتمثّل بذلك اعتزاز العربي بعصبيته وصون كرامته، فالحفاظ على الكرامة إنّما هو حفاظ على حياته نفسها. وتتشعّب معاني الأخذ بالثأر و ما يتّصل به من فكرة دفع الديات وما يرتبط به من قيم وعادات خاصّة برفضها أو قبولها والرضا بها حسما للقتال وإقرارا للسلام.

4-الحروب:

إنّ النّعرة ومناداة القوم من أجل الاستغاثة بهم وحثّهم على الحرب هي مظهر أساس من مظاهر العصبية. فحين ينادي أحد قومه لا بدّ من إجابته دون النظر إلى طبيعة موقفه هل هو ظالم أو مظلوم.

ومن مظاهر العصبية القبلية أيضا:

أ-التحاكم إلى أهواء مشايخ العشائر و الطواغيت و الكهان.

ب-التنقّص من قدر القبيلة الّتي لا تسعى للشرّ و تكره الظلم.

ج-التّقليد في الباطل و اتّباع طريقة الآباء دون تمييز.

المحاضرة الثانية: معلّقة عمرو بن كلثوم (شعرية العنف)

عمرو بن كلثوم من قبيلة تغلب، كان أبوه كلثوم سيّد قومه و أمّه ليلى بنت المهلهل (أحد الشعراء المشهورين). كانت تغلب في نزاع مع بكر (كان بينهما حرب الباسوس حتى أصلح بينهم المنذر ملك الحيرة) و لما تولّى الحيرة عمرو بن هند حذا حذو أبيه. فحدث أن وجّه عمرو بن هند قوما من بكر وتغلب إلى جبل طيئ في أمر من أموره، فنزلوا على ماء لبني شيبان وهم من بكر، فأبعدوا التغلبيين عنه حتّى ماتوا عطشا. فطلب التغلبيّون ديّتهم من بكر، وتحاكموا لعمرو بن هند. وكان سيّد تغلب عمرو بن كلثوم وسيّد بكر الحارث بن حلّزة، وتفاخرت القبيلتان بين يديه. وفي هذا الموقف قال عمرو بن كلثوم لعض معلّقته.

1-تبدأ القصيدة بالخمرة(1-5) ثمّ المرأة(6-17) و تدور الأبيات الأخرى حول هويّة القبيلة تراثا و مجدا وبطولة (18-94.)

2-مطلع القصيدة

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا وَلاَ تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

يأمر ساقية الخمر أن تستيقظ من نومها لتسقيه الصبوح(الخمر) بقدحها العظيم، ولا تدّخر خمر الأندرين وهي قرى بالشام تعرف بكثرة خمرها.

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا

بِأَنَّا نُوردُ الرَّايَاتِ بِيضًا وَنُصْدِرُهُنّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وأيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا الْمَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

وَسَيّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوه بِتَاجِ الْمُلْكِ يَحْمِي الْمُحْجَرِينا

مَتى نَنقُل إِلى قَومٍ رَحَانا يَكُونوا فِي اللِّقاءِ لَها طَحينا

يخاطب عمرو بن هند قائلا: يا أبا هند لا تعجل علينا وانظرنا نخبرك باليقين من أمرنا وشرفنا.

فنحن نورد أعلامنا الحروب بيضًا، ونرجعها منها حمرًا قد روين من دماء الأبطال. ولنا وقائع(حروب) مشاهير كالغرّ من الخيل عصينا الملك فيها كراهية أن نطيعه ونتذلّل له. وربّ سيّد قوم متوّج بتاج الملك حام للملتجئين قهرناه. متى حاربنا قومًا قتلناهم، لما استعار للحرب اسم الرحى استعار لقتلاها اسم الطحين.

بِأيّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بن هِنْدٍ نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينًا

بِأيّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بن هِنْدٍ تُطِيعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا

فإنّ قَنَاتَنَا يا عَمْرُو أَعْيَتْ عَلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَة بنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينا

وَرِثْتُ مُهَلْهِلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ زهيرًا نِعْـمَ ذُخْـرِ الذَّاخِـرِينَا

وَعَتّـابًا وَكُلْثُـومًا جَمِيعًـا بِهِـمْ نِلْنَـا تُرَاثَ الأَكْـرَمِينَـا

كيف تشاء يا عمرو بن هند أن نكون خَدَمًا لِمَن وليتموه أمرنا من الملوك الذين وليتموهم؟ أيّ شيء دعاك إلى هذه المشيئة المحالة؟ يريد أنّه لم يظهر منهم ضعف يُطمع الملك في إذلالهم باستخدام قيله إياهم، أو أن يصغي إلى من يشي بهم إليه ويغريه بهم فيحتقرهم. ويؤكّد أنّ قناتهم أبت أن تلين لأعدائهم و أنّ عزّهم أبى أن يزول بمحاربة أعدائهم ومخاصمتهم ومكايدتهم، فعزّهم منيع لا يرام. و العرب تستعير للعز اسم القناة.

ورثنا مجد هذا الرجل الشريف من أسلافنا، وقد جعل لنا حصون المجد مباحة قهرًا وعنوة، أي غلب أقرانه على المجد ثمّ أورثنا مجده ذلك. كما ورثت مجد مهلهل، ومجد الرجل الّذي هو خير منه وهو زهير فنعم ذخر الذاخرين هو، أي مجده وشرفه للافتخار به. ورثنا مَجْدَ عتاب وكلثوم وبهم بلغنا ميراث الأكارم أي حزنا مآثرهم ومفاخرهم فشرفنا بها وكرمنا.

معاني ودلالات القصيدة

1-تتجلّى في القصيدة الحياة الجاهلية القائمة على الصراع والقتال، ورافق هذا حديث عن الشجاعة والجبن، فكان الحديث عن الحماسة الّتي تعني وصفا للبطولة وشحذا للهمم وتحميسا لأبناء القبيلة.

2-يتضمّن الشعر الجاهلي نمطين من أنماط البطولة: بطولة فردية(عنترة) وبطولة جماعية. وقصيدة عمرو تعبّر عن التلاحم مع القبيلة واقعا وتعبيرا فنّيا. وهي بهذا تعبير عن البطولة الجماعية. وفي هذا النمط من الشعر يكسر التعبير عن الأنا إلى التعبير عن الجماعة، وتتحوّل القصيدة إلى نشيد جماعي يتحدّث فيه الشاعر عن البطولة القبلية والجماعة في قيمها وصراعها مع القبائل الأخرى .

3-تقدّم القصيدة عرضا شاملا للنشاط العقلي والمادّي الّذي تمارسه قبيلة الشاعر. فـ"أنا" الشاعر متّحدة عضويّا مع "نحن" القبيلة، بل إنّها ذائبة فيها. و وعي الشاعر غير منفصل عن وعي الجماعة.

4-البنية هنا حقل (لاشكل)، إنّها بؤرة استقطاب حول الذات، وهي في هذا نبذ لكلّ ما يناقض هذه الذات: الحياة و المجد للأنا و النحن/ والموت و الذلّ للهو أو الآخر الّذي يحارب هذه الذات.

5-الشاعر لا يفكّر في الآخر إلاّ بعبارات السّحق والقتل، ما يؤكّد أنّ القصيدة تنضح بمعاني العنف الناتج عن تعصّب الشاعر لقبيلته ونبذه للقبائل الأخرى إلى درجة تجعل القصيدة تبدو كأنّها بيان حربي أو إعداد للقنال وسحق العدوّ.

المحاضرة الثالثة: نزعة التمرّد في شعر الصعاليك.

شعر الصعاليك شعر معارض للقبيلة ومفاهيمها. فالشاعر يرفض-انطلاقا من حبّه للحرّية- مراسيم القبيلة وطقوسها وأمورها، وهو بذلك يرفض الكذب والنفاق ويفضّل أن يسمّي الحقائق بأسمائها ولا همّ له إن أغضب فبيلته فهمّه الوحيد هو أن يعيش حرّا ويكون أديبا حرّا.

ومن هنا كان هذا الشعر يمثّل ظاهرة فريدة في الأدب العربي، حتّى عدّه بعض الدارسين أوّل أدب معارضة عند العرب. فكما خالف الشعراء المجتمع القبلي في نمط العيش وفي شكل التجمّع و التعايش والطقوس و المعتقدات، اختلفوا مع فنّه و موضوعاته و بنية قصيدة شعرائه، وتفرّدوا في شعرهم من حيث وحدة الموضوع و المضمون.

إنّ طبيعة شعر الصعاليك تختلف في كثير من الجوانب عن طبيعة الشعر الجاهلي كلّه. فانقطاع الصلة بينهم وبين قبائلهم من نواحٍ متعدّدة، اجتماعية واقتصادية وسياسية...أدّى إلى انقطاعها فنّيا، وهذا الشرخ بينهم ولّد لديهم رؤى مختلفة ومخالفة في كثير من الموضوعات الّتي جادت بها قرائحهم. و إن غابت بعض الرؤى-كما جاءت في بقيّة الشعر الجاهلي-فإنّ الصعاليك وضعوا لها معادلا موضوعيا تردّد في شعرهم بحكم المحيط الّذي ألفوه بطبيعته ووحشه و أُنسه وبحكم مغامراتهم و تربّصهم بالقبيلة و أملاكها وقوافل تجارتها. فحضر بشكل جليّ الوحش الّذي اختاروه أهلا بديلا، لأنّهم لجأوا إلى أمكنته وسكنوا كهفه واعتصموا بأعالي الجبال. فأصبح شعرهم بعبّر عن هذه الحياة الجديدة وتحرّروا من سلطة القبيلة وشيوخها وسادتها. و أصبح " الأنا الفردي" طاغيا و انتفى ضمير القبيلة من

قاموسهم، و إن ورد ضمير الجمع في شعرهم إنّما هو "الأنا الجمعي" الّذي يعبّر عن تجمّع الصعاليك، حيث لا تربطهم رابطة القبيلة أو اللون أو النسب، و إنّما رابطة جديدة على المفهوم الاجتماعي آنذاك، إنّها رابطة الحرفة و الصنف و المبدأ و هي نسبهم الوحيد.

وهذا الأنا الجمعي في شعرهم إنّما هو تعبير عن التكتّل والتجمّع والتمرّد. هذا التمرّد الّذي حرّر الشعراء الصعاليك من السلطة، فجاء شعرهم ليمزّق ستار السلطة وحجابها وليخترق طقوسها ومكنوناتها فتحرّروا من الذوبان في القبيلة، وصنع كلّ واحد من الصعاليك فرديته وتحرّر كلّ واحد بشخصيته واعتزّ بها.

استطراد:

الصعلوك لغة الفقير الّذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة. لكنّها في الجاهلية تدلّ على من يتجرّد دون الغارات وقطع الطرق. وهم ثلاث مجموعات:

1-الخلعاء الشذاذ الّذين تنكّرت لهم قبائلهم لكثرة جرائمهم. منهم حاجر الأزدي، وقيس بن الحدّادية وأبو الطمحان.

2-أبناء الحبشيات السود ممّن نبذهم أباؤهم. منهم الشنفرى و تأبّط شرّا.

3-مجموعة احترفت الصعلكة احترافا.مثل عروة بن الورد.

المحاضرة الرابعة: لامية العرب للشنفرى

يمثّل الشعر الجاهلي الّذي أنتجه الشعراء الصعاليك نصّ الرفض، أو نصّ التمرّد على قيم القبيلة. فقد اختلفت ماهية الخطاب لدى هؤلاء الشعراء من حيث طبيعة الموضوع الّذي يمثّل ثورة على المفاهيم السائدة. ولعلّ لامية العرب للشنفرى واحدة من القصائد الّتي عبّرت عن هذا الرفض بشكل جليّ. فهو يبدأ قصيدته بإعلان خيبته من قومه، وتطلّعه نحو قوم آخرين:

أَقيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُـــم فَإِنِّي إلى قَـومٍ سِواكُم لأَمْيَل

فقدْ حُمَّتْ الحَاجَاتُ والليلُ مُقْمِـــرُ وشُدَّتْ لِطَيَّاتِ مَطَايَا وأَرْحُل

وَفِي الأرضِ مَنْأَى لِكريمٍ عنْ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزّلِ

لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِئٍ سَرَى رَاغِبًا أوْ رَاهِبًا وهُو يُعْمِلِ

فهو يستفتح لاميته بنوع من اليأس (الّذي يضمر نوعا من البحث على الأمل.) فليس في قومه غير الأذى و القلى(البغض والحقد) و الضيق، وهم لا يعتمد عليهم في إنقاذ أو حماية، ولذلك ليس في قربهم رجاء، و لذا فقد فضّل أن يجد بديلا عنهم يؤنسه.

ولِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ: سَيِّدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زَهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِرِّ ذَائِعُ لَدَيْهِمْ وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وكُلُّ أَبِيٍّ باسِلٌ غيرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَرَائِدِ أَبْسَلُ

الشاعر اختار مجتمعا كلّه من الوحوش، وهاجسه الرئيس أن يرسم نفسه ليميّزها عن قومه، فيضفي عليها الصفات الّتي تسوّغ له أن يرفض قومه، و أن يختار قوما آخرين. ثمّ أن يرسم هؤلاء القوم الّذين يختارهم بحيث يتمّ اللقاء أو التطابق بينه وبينهم. فهو لا يضع قبيلته موضع التساؤل فحسب، بل موضع الرفض أيضا لأنّ نظام القبيلة يلغي فرديته وتفرّده، ولذا نجده يختار النقيض الكامل لمجتمع الإنسان: الطبيعة والحيوان. ويعني هذا الاختيار من وجهة نظر القبيلة أنّه اختار اللاّمعقول واختار الممنوع والمحرّم، أمّا في نظره هو فيمثّل هذا الاختيار قمّة الحرّية.

لكنّ الشاعر إذ يخرق القبيلة فذلك ليس ليجعل من نفسه سيّدا يستعبد الآخرين، وإنّما لكي يسير في عالم الحيوان (الّذي لا قانون يحكمه.) وهو يؤمن بوجوب تأسيس عالم لا أمر فيه ولا نهي، لا آمر ولا مأمور، ليس فيه غير الطبيعة والحرّية.

من أجل هذا العالم يتخلّى الشنفرى عن الإنسان ويصادق الحيوان. فامتداح الحيوان وإعلانه صديقا يعني الخلاص من عالم القمع.

وهو يتأسّى عن فراق أهله بثلاث: قلب شجاع وسيف مجرّد من غمده و قوس طويلة العنق.

وإنّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا بِحُـــسْنَى وَلاَ فِي قُرْبِـهِ مُتَعَلَّـــل

ثَلَاثَةُ أَصْحَـــابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّـعُ وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٍ وَصَفْرَاءُ عَيْطَل

عاش الشنفرى في الصحراء القاحلة يتلوّى جوعا لكنّه مترفّعا

أَدِيـــمُ مَطـَالَ الجُوعِ حَتَّى أُمِيتـــه وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِكْرَ صَفْحًا فَأُذْهَل

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْ لاَ يُرَى له عَلَيَّ مِنَ الطُولِ امْـرُؤٌ مُتَطَـــوَّل

فهـو يتناسـى الجـوع حـتّى يـذهب عنـه، ويفضـل أن يسـتفّ تـراب الأرض علـى أن يمـدّ أحـدٌ إليـه يده بفضل أو لقمة يمنّ عليه بها: قمّة الأنفة والكبرياء وعزّة النفس.

المحاضرة الخامسة: التمرّد في شعر عروة بن الورد:

يـبرز التمـرّد عنـد عـروة في حديثـه عـن الواقـع الاقتصـادي السـائد آنـذاك ورفضـه لـه، ورفضـه أيضـا للبنيـة السياسـية الـتي تهـيمن علـى هـذا الواقـع. وتكشـف المفـردات والتعـابير في شـعره عـن هـاجس أخلاقـي اجتمـاعي مـداره اقتصـادي وطرفـاه الغـنى والفقـر. فهـو يتطلّـع إلى حالـة مـن العدالـة والحـقّ، لإحـداث هـذا التغيـير لا بـدّ أن يحقّـق تغـيّرا داخـل ذاتـه بوصـفه شـرطا ضـروريا لتغيـير الخـارج. هكـذا يعلـن أنّـه بـريء مـن كـلّ عيـب إلاّ عيـب القرابـة، وهـو يـرفض أخـلاق القرابة الدموية ويمارس أخلاق ما يمكن أن نسميه بالقرابة الاجتماعية أو الإنسانية

وما بي من عارٍ إخالُ علمتُه سِوى أنّ أخوالي إذا نُسِبوا نَهْدُ

وإنّي امرؤٌ لما في إنائي شِرْكَةٌ وأنْتَ امرؤٌ لِما في إنائِـكَ واحدُ

والشـاعر يعلـن أنّـه مـع الحـقّ، وضـدّ الظلـم، لا يـترك "الإخـوان" ولا يسـمح بأن يستضـام جـاره، يساعد ذا الحقّ وينصره.

فلا أتْرُكُ الإخوانَ ما عشت للرّدى كمـا أنّه لا يتْـرُكُ المـاءَ شاربُـه

ولا يُسْتَضَامُ الدّهرَ جاري ولا أَرى لِمَنْ باتَ تسري للصديقِ عقاربُه

ويعلن الشاعر مجموعة من القيم، فهو يرى أنّ الإنسان لا يسود بالثراء بل بأفعاله، كما يؤكّد أنّه يتخلّى عن صديقه القريب حين يرى عدَلَ عن الحقّ إلى الضلال و الغيّ، وهو يحارب العقوق و البخل و يفضّل الموت على الفقر. وهو لذلك لا يخاف لا الحرب ولا الموت، وإنّما يخشى ألاّ يتحقّق شيء واحد، وهو ما يتطلّع إليه ويكافح من أجله.

ما بالثراءِ يسودُ كلُّ مسوَّدٍ منْثَرٍ، ولكن بالفِعالِ يسُودُ

وخِلٍّ كنْتُ عينَ الرُّشْدِ منه إذا نَظَرْتُ ومُسْتَمِعًا سَمِيعًا

أَطَافَ بَغِيّةً فَعَدَلْتُ عنه وقُلْتُ له أَرَى أَمْرًا فَظِيعًا

لعلَّ انطِلاقي في البلادِ وبُغْيَتِي وشدِّي حَيَازِيمَ المَطِيّةِ بالرّحْلِ

سَيَدْفَعُنِي يوما إلى رَبّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْها بِ العُقُوقِ وبالبُخْلِ

فَإِنْ فازَ سَهْمٌ للمَنِيّةِ لم أَكُن جَزُوعًا، وهل عن ذاك من متَأَخَّر؟

وإن فاز سَهْمِي أَكُفُّكُم عن مَقَاعِد لَكُم خَلْفَ أَدْبِ والبيوتِ ومنظر

عموما فإنّ شعر عروة بن الورد رفضٌ للقرابة الدموية أو القبلية. وهو شعر انفتاح على الإنسان فيما يتجاوز الولاء القبلي و اللون والجنس و الفقر و الغنى...فالعالم الشعري الّذي يخلقه عروة هو عالم المشاركة الإنسانية، وقد حوّل حياته إلى كفاح من أجل تحقيق هذه المشاركة. وكان هذا الكفاح يكتسي طابعا تمرّديا، فالموت الحقيقي في نظره هو الفقر، هو الاستكانة والقعود، هو الذلّ. والإنسان لا يتخلّص من هذا الموت ولا يتغلّب عليه إلاّ بالبطولة والفروسية .

-عروة يعبّر عن نفس كبيرة، فهو لا يغزو للغزو والنهب والسلب كالشنفرى وتأبّط شرّا، وإنّما يغزو ليعين الفقراء والمستضعفين من قبيلته. وهو لم يكن يغير على كريم يبذل ماله للناس، بل كان يتخيّر لغاراته من عرفوا بالشحّ و البخل، و بذلك تصيح الصعلكة عنده ضربا من ضروب النبل الخلقي و التضامن الاجتماعي.

المحاضرة السادسة: أثر الإسلام في الشعر العربي القديم

بعد أن عمّت أضواء الإسلام أصبح الشعراء يصدرون في جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية الّتي آمنوا بها وملأت قلوبهم، فكانوا دائمي الاستمداد من القرآن يستلهمونه ويقتبسون منه موضوعاتهم.

أثر الإسلام في الشعر من حيث الأغراض:

1-هجر الشعراء كثيرا من أغراض الشعر الّتي تعدّ من باب الغواية الّتي نعى القرآن على أهلها في قوله تعالى" و الشعراء يتّبعهم الغاوون..." ومن الأغراض الّتي هُجِر قول الشعر فيها: الغزل المفحش الصريح ودواعيه، وتملّق النّاس بالمدح، وهجوهم بغير كفرهم وعنادهم، والفخر بالباطل، ووصف الخمر...

2-استعمال الشعر في تأييد دعوة الإسلام، وفيما يطابق روح القرآن كالحثّ على العمل الصالح

والموعظة الحسنة، ومدح الرسول-صلّى الله عليه وسلّم-وأنصاره، والحضّ على جهاد أعداء الإسلام، ورثاء من استشهد في غزوات رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-

3-شيوعه على ألسنة شعراء الفاتحين في الفخر والتباهي بالانتصار على جيوش الفرس والروم والتمدّح بشجاعة المسلمين وأبطالهم، ووصف المعاقل والحصون وآلات القتال الّتي لم يكونوا يعرفونها وأنواع الحيوان الّتي لم يشاهدوها، ووصف جبال الثلج والأنهار وسفائن البحر...

أثر الإسلام في الشعر من حيث اللفظ والأسلوب والمعاني:

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصوّرهم وتخيّلهم عمّا ألفوه من الجاهلية، و إن فاقوهم كثيرا في ترتيب الفكر وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان بما هذّب نفوسَهم ورقّق طبَاعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسوله-صلوات الله عليه وسلامه- وكذلك لم يخرجوا في هيئة تأليف اللفظ ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظرائهم في الجاهلية.

ومع ذلك يرى بعض الدّارسين أنّ جزء من هذا الشعر قد لان في اللفظ وهان في المعنى عمّا كان عليه في الجاهلية، وعلّلوا ذلك بأنّ الإسلام نسخ كثيرا من بواعث الشرّ الّتي كانت تثير النفوس و تشعل الأحقاد كالعصبية الجاهلية وحبّ الانتقام و الأخذ بالثأر و النشوة بالخمر و الهجاء الكاذب...هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإنّ كثرة تلقّيهم آيات القرآن المعجز ونزوله بينهم كلّ حين بما يبهرهم ويأخذ بمجامع قلوبهم صغّر قيمة شعرهم في أعينهم واستخسّوا معانيهم و أسلوبهم مقارنة بمعاني القرآن وأسلوبه، فهبطت قوّة شعرهم عمّا كانت عليه. ومع ذلك لا يمكننا أن ننكر وجود شعر يضاهي الشعر الجاهلي وينافسه لا سيما أدى شعراء البوادي الّذين لم يتعرّضوا لهذا الإفحام و الانبهار، فبقي شعرهم على غرار شعر الجاهلية، ومن هؤلاء الحطيئة وكعب بن زهير وحسان والخنساء...

وعموما فقد كان للقرآن الكريم وفصاحة حديث النبيّ الكريم-عليه أفضل الصلاة والتسليم-أثر عظيم في ترقيق الشعر بعامّة وشعر أصحابه بخاصّة. فقد كثُر في شعرهم استعمال ألفاظ القرآن وأساليبه وتشابيهه وتوليد المعاني من العقيدة الإسلامية، وشاع فيه الكثير من الألفاظ الإسلامية كالصلاة و الزكاة و الصيام والجنّة والنّار والثواب والعقاب والبعث و النشور...

المحاضرة السابعة: قصيدة فتح مكّة لحسان بن ثابت

في السنة السابعة من الهجرة عُقد صلح بين رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-وبين قريش على أن يدخل المسلمون مكّة للحجّ بعد عام، لكنّ قريش نقضت العهد، فجهّز الرسول-صلّى الله عليه وسلّم-جيشا قويّا لمحاربة المشركين وفتح مكّة، وأمر حسّان بهجاء قريش "اهجوهم يا حسان فإنّ شعرك أشدّ عليهم من وقع السيوف." فانبرى حسان يهجو قريشا ويشيد ببطولة المسلمين(أنصار ومهاجرين) وبشجاعتهم، ويردّ على أبي سفيان بن الحارث الّذي هجا الرسول-صلّى الله عليه وسلّم-

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُبَارِينَ الأَسِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسِلُ الظِمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تَلْطِمُهُنَّ بِالْخُمُورِ النِّسَاءُ

فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ

وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ يُـعِـزُّ اللهُ فِيـهِ مَـنْ يَـشَـاءُ

في هـذه الأبيـات لوحـة فنّيـة رائعـة، تمـوج بالحركـات والأصـوات والألـوان في تصـوير دخـول جـيش المسـلمين إلى مكّـة، تتّسـم بالقـوّة في اختيـار الألفـاظ المعـبّرة الدّقيقـة، وفي قولـه تلطمـن تصـوير لعنصـر المفاجـأة، إذ لا تـزال النسـاء (اللـواتي يختبـئن في البيـوت) في الشـوارع، وبيـان لحال المشركين الّذين فرّوا تاركين نساءهم في مواجهة الجيش .

وجبـريـــلُ أَمِيـنُ اللهِ فِيـنَـا وَرُوحُ القُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاء

وَقَالَ اللهُ: "قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الحَقَّ إِنْ نَفَعَ البَلاَء

شَهِدْتُ بِهِ، فَقُومُوا صَدِّقُوهُ فَقُلْتُمْ لاَ نَقُومُ وَلاَ نَشَـاء

يشـيد بالـدعوة الإسـلامية الّـتي أرسـلها الله عـن طريـق جبريـل(روح القـدس) الّـذي لا نظـير لـه في نقـل الـدعوة الإسـلامية. كمـا يشـيد بالرسـول-صـلّى الله عليـه وسـلّم- المؤيَّـد مـن الله و الـدّاعي بدعوة الحقّ، مشعل الهداية.

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاء

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاء

هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللهِ شِيمَتُهُ الوَفَاء

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُم وَيَمْدَحُهُ وينْصُـرُه سَوَاء

فَـإِنَّ أَبِي وَوَالِـدَهُ وَعِرْضِـي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُم وَقَاء

حسّـان في هـذه القصـيدة يجمـع بـين منهجـين: اسـتخدم الأسـلوب الجـاهلي في هجـاء الأعـداء واسـتخدم الأسـلوب الإسـلامي في مـدح الرسـول-صـلّى الله عليـه وسـلّم-والفخـر في الـدّفاع عـن الـدّعوة الإسـلامية. اعتمـد في الهجـاء علـى صـفة الذلّـة وإكسـابها لأبي سـفيان وعشـيرته. وهـذا طـرف مـن أسـلوبه في هجائـه النضـالي عامّـة. أمّـا الفخـر فقـد انقلـب رأسـا علـى عقبـا عـن

الفخر الجاهلي بالأحساب والأنساب والتعصّب للقبيلة. وأحلّ محلّها الأثرة الإسلامية و التفاني في حبّ الله، والفخر بالمنافحة عن الرسول-صلّى الله عليه وسلّم-ابتغاء لما عند الله.

لِسَانِي صَارِمٌ لاَ عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرٍ لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَء

فَنَحْكُمُ بِالقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدّماء

يفتخر بقدرته وقدرة الشعراء المسلمين على هجاء كفّار قريش علاوة على قتالهم والنيل منهم في أرض المعركة حين يشتدّ الطعن والقتال.

تندرج القصيدة ضمن ما يعرف بـــ" الأدب القائد" فحسّان بن ثابت استشرفت نفسه إلى فتح مكّة، إنّه رأى بنظرة مستقبلية أن تدخل خيل المسلمين مكّة من كداء. فهذا الشعر ليس مرآة للحياة، بل هو موجّه لها أو قائد لها.

المحاضرة الثامنة: الشعر السياسي في العصر الأموي

ازدهرتِ الحياة الأدبيّة في العصر الأموي نتيجةَ عوامل عدّة: سياسيّة، واجتماعيّة ودينيّة، فتركت آثارَها في الأدب خاصّة الشعر الّذي كان مرآة للحياة في ذاك الوقت، فتعدّدت الاتّجاهات الشعريّة وأغراضها وظهرت اتجاهات شعريّة جديدة وقضايا شعريّة خاصّة بالعصر الأموي كالغزل العذري والشعر السياسي، كما بَرَزَتْ مجموعة كبيرة من الشعراء الّذين كان لهم تأثيرٌ كبير في العصور الأدبية التالية .

الشعر السياسي في العصر الأموي

عُرف الشعر السياسي في العصر الأموي بأنّه الشعر الّذي قاله الشعراء التابعون للاتّجاهات السياسية والأحزاب المتصارعة على الخلافة، وقد ازدهر الشعر السياسي في هذا العصر حتّى أصبح غرضًا قائمًا بذاته، وكان من أبرز أشكاله الهاشميّات والنقائض.

أ-الهاشميات: هي القصائد الّتي قيلت في حبّ الهاشميين وتمجيدهم وذكر محاسنهم الّتي جعلتهم أحقّ بالخلافة من غيرهم، وكان الكُميْت بن زيد الأَسَديّ من أبرز الشعراء الّذين اشتهروا بالهاشميات ونظم في مختلف مضامينها. أمّا أبرز مضامين الهاشميات فكانت:

1-التعبير عن حب الهاشميين، وذكر محاسنهم وفضائلهم وحقّهم في الخلافة بعد خلافة علي بن أبي طالب، وفيها قال الكُمَيْت :

فإنْ هِيَ لم تَصلُحْ لِحَيّ سِواهُمُ فإنَّ ذَوي القُربى أَحَقُّ وأوْجَبُ

يَقُولُونَ لَمْ يُورَث وتلكَ ولولا تراثُه لقد شركتَ فيهم بَكيلٌ وأرحَبُ

وهو يعلن حبّه للهاشميين وشوقه لهم حين يقول:

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ولاَ لَعِبَاً أذُو الشَّيبِ يَلعَبُ

ولم يُلهِنِي دارٌ ولا رَسمُ مَنزِلٍ ولم يَتَطَرَّبنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ

وَلكِن إلى أهلِ الفَضَائِلِ والنُّهَى وَخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ

إلى النَّفَرِ البيضِ الّذِينَ بِحُبِّهِم إلى الله فِيمَا نَابَنِي أتَقَرَّبُ

بَنِي هَاشِمٍ رَهطِ النَّبِيّ فإنَّنِي بِهِم ولَهُم أَرضَى مِرَاراً وأغضَبُ

2-رثاء الشهداء الّذين قضوا من الهاشميين، ومنهم الحسين بن علي بن أبي طالب الّذي استشهد في كربلاء عام 61 هـ، وفيها قال الكميت :

ومن أكبَرِ الأحْداثِ كانتْ مُصيبةً عَلَينا قَتيلُ الأدْعياءِ المُلَحّبُ

قتيل بِجَنْبِ الطّفّ من آلِ هاشمٍ فَيا لَكَ لَحْمًا ليسَ عنه مُذّبّبُ

3-هجاء أعْداء الهاشميين وخصومهم، حتى عُرِف بالهجاء السياسي، وقد نظم الكميت في هجاء حكّام الأمويين:

فَتِلْكَ مُلُوكِ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُلْكُهم فحتّامَ العَناءُ المُطوَّلُ؟

وما ضَرَبَ الأمثالَ في الجَوْرِ قبلنا لأجْوَرَ مِنْ حُكّامِنا المُتمثِّل

ب–النقائض:

وهي اللون الثاني من ألوان الشعر السياسي في العصر الأموي، وهي قصائد طِوال ينظمها شاعر ما في الهجاء بغرض الردّ على قصائد لخصيم له، يلتزم فيها نفس أسلوب خصيمه بحرًا وقافية ورويًّا ليـنقض معاني خصيمه ويردّها عليه، وينسب الشاعر ناظم النقيضة الفخر لنفسه ولقبيلته عكس خصيمه. وقد كانت النقائض استمرارًا للهجاء الجاهلي القبليّ، ولكن قيام الأحزاب السياسية، ومحاولة التقرّب إلى الخلفاء بغرض التكسّب، أذكى هذا الفن في العصر الأموي وجعله أبرز، حتى عُرف ثلةٌ من الشعراء بفحول النقائض، وهم: جرير، والأخطل، والفرزدق .

يقول جرير في هجاءه للفرزدق:

إنَّ الفَرَزدَقَ أَخزَتهُ مَثالِبُهُ عَبدُ النَهارِ وَزانِي اللَيلِ دَبّابُ

لا تَهجُ قَيساً وَلَكِن لَو شَكَرتَهُمُ إنَّ اللَئيمَ لَأَهلِ السَروِ عَيّابُ

قَيسُ الطِعانِ فَلا تَهجو فَوارِسَهُم لِحاجِبٍ وَأَبي القَعقاعِ أَربابُ

هُمُ أَطلَقوا بَعدَ ما عَضَّ الحَديدُ بِهِ عَمروَ بنَ عَمروٍ وَبِالساقَينِ أَندابُ

أَدّوا أُسَيدَةَ في جِلبابِ أُمُّكُمُ غَصبًا فَكانَ لَها دِرعٌ وَجِلبابُ

فأجابه الفرزدق:

وَدّ جَرِيرُ اللّؤمِ لَوْ كَانَ عانِياً وَلَمْ يَدنُ منْ زَأرِ الأسودِ الضّرَاغِمِ

رَأَوْنَا أحَقَّ ابْنيْ نِزَارٍ وَغَيْرِهِمْ بإصْلاحِ صَدْعٍ بَيْنَهُمْ مُتَفاقِمِ

حَقَنّا دِمَاءَ المُسلِمينَ فأصْبَحَتْ لَنَا نِعْمَةٌ بُثْنى بِهَا في المَواسِمِ

يَقولُ كِرَامُ النّاسِ إذْ جَدّ جِدُّنا وَبَيّنَ عَنْ أحْسَابِنَا كُلُّ عالِمِ

عَلامَ تَعَنّى يا جَرِيرُ، وَلَمْ تَجِدْ كُلَيْباً لَهَا عَادِيّةٌ في المَكَارِمِ

فَلَوْ كُنتَ ذا عَقْلٍ تَبَيّنْتَ أنّما تَصُولُ بِأيْدِي الأعجَزِينَ الأَلائِمِ

وهَلْ مِثْلُنا يا ابنَ المَرَاغَةِ إذْ دَعَا إلى البَأسِ داعٍ أوْ عِظامِ المَلاحِمِ

ونظم الأخطل الكثير من قصائد الهجاء، وكان جرير والفرزدق أبرز من هجاهم، ومن قصائده:

أَلا يا لَيتَ كَلباً بادَلونا بِمَولانا وَكانَ لَها الصَميمُ

فَبادَلنا بِزَيدِ اللاتِ عَوصاً كِلا البَدَلَينِ مُقتَرَفٌ بَهيمُ

وَطابِخَةُ الَّتي لا عِزَّ فيها تُجيرُ بِهِ وَلا حَسَبٌ كَريمُ

لَعَمرُكَ إِنَّني وَابنَي جُعَيلٍ وَأُمَّهُما لِإِستــــارٌ لَئيـمُ

فَما تَدري إِذا ما الناسُ ساروا أَتَظعَنُ بَعدَ ذَلِكَ أَم تُقيمُ

يَظَلُّ بَنو النَعامَةِ حابِسيهُم إِذا وَرَدوا وَوِردُهُمُ ذَميـمُ

المحاضرة التاسعة: خصائص الشعر السياسي في العصر الأموي

تمثّل الهاشميات والنقائض لونين من ألوان الشعر السياسي في العصر الأموي، ازدهر كلّ منهما وشاع وطُبع بخصائص تميّزه عن بقيّة الشعر.

1-خصائص الهاشميات:

-صدق العاطفة وحرارتها، كونها نابعة من محبّة قوية وخالصة للهاشميين، ولم تعرف تكسّبا أو يدخلها التكلّف و الصنعة .

-استخدام المنطق والحُجّة والبرهان من خلال الشعر لإثبات حقّ الهاشميين في الخلافة .

-الوَحدة الموضوعية للقصيدة، فهي تتناول موضوعا واحدا وهو حب الهاشميين والدفاع عن حقّهم في الخلافة، وهجاء أعدائهم .

-قلّة الصور الفنيّة والخيال لتأكيد الموضوع وتقريره .

2-خصائص شعر النقائض :

-نقض المعاني: فالشاعر الثاني يفسد ما أورده الشاعر الأوّل، وينقضه، ويحطّ من شأن الأوّل وأفكاره وقبيلته، وينسب لنفسه ولقبيلته الكرم والجود .

-المخالفة في التفسير: فكلا الشاعرين يختاران موقفا محددَا أو حادثة ما وينظمان عليها، فيفسّر كلّ شاعر الموقف أو الحدث بما يؤيّد موقفه ويقوّيه من فخر أو هجاء .

-الوَحدة الموضوعية والتركيز على الموضوع نفسه من الشاعرين .

-وَحدة الوزن والقافية: وفيها يكون الشاعر الأول حرًّا في اختيار البحر الّذي ينظم عليه وقافيته، ولكنّ الشاعر الثاني يأتي مقيدًا في الرد بنفس أساليب الشاعر الأول .

-الاحتفاء بالأنساب وتاريخ القبائل: الذي كان أساسًا في مفاخرة الثاني على الأوّل وتحقيره له، فقد كانت الأنساب مادّة غنيّة للشاعر من أجل تحقير خصمه أو ردّ نسبه أو عزله عن قبيلته. وكان أبرز محرّك لهذه الخاصيّة هو عودة الناس في العصر الأموي إلى العصبيّة القبليّة الجاهلية.

-كثرة استخدام الصور الفنية والسخرية، والّذي وصل في كثير من القصائد حدّ الفحش والمجون .

المحاضرة العاشرة: قضية التقليد والتجديد في العصر العباسي.

امتازت الحياة السياسية في العصر العباسي(132هـ/656) بمظاهر عديدة، ومن أهم هذه المظاهر:

-تغيّرت العاصمة من دمشق لتصبح بغداد عاصمة الدولة العباسية، وأصبحت مركزًا مهماً يؤمّه الناس من كلّ مكان.

-أخذت الدولة العباسية الطابع الفارسي على النقيض من الدولة الأموية السابقة لها، الّتي كان طابعها عربيّا خالصًا، وقد بدا الطابع الفارسي في الدولة العباسية من خلال نظام الحكم وأخذ نظام الوزارة عنهم، كما ظهر على الطابع الخارجي في المظهر واللباس الخاص بالحاشية والقضاة والموظّفين. -امتاز العصر العباسي في النصف الثاني منه(334هـ) بالتفكّك والانقسام، بحيث ظهرت الدويلات في أنحاء الدولة العباسية المختلفة مثل الدولة الحمدانية في الشام، والدولة الفاطمية في مصر، والبويهية في العراق، والسامانية في فارس.

-ظهر الضعف والتحول الخطير في الدولة العباسية بعد دخول العنصر التركي وحلوله محل العنصر الفارسي.

وكان لاتصال الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية دور في تطوّر الجانب العلمي والأدبي في العصر العباسي، فقد أدخل هذا الاتّصال المعارف والعلوم الجديدة للعالم العربي، وفي الوقت نفسه قدّم الكثير من الثقافة العربية والإسلامية لغير العرب من الفارسيين والهنود واليونانيين، وكان هذا الاتّصال يتّخذ شكلين أساسين هما: المشافهة، والنقل والترجمة، ولعل الثاني كان الأبرز في هذا المجال لاهتمام الخلفاء به. وهكذا تنوّعت في العصر العبّاسي مشاهد الحضارة وتعدّدت ألوان الثقافة وتجدّدت أساليب العيش، ووُجدت في المجتمع عادات وتقاليد جديدة، لذا نجد أغراض الشعر تتّجه اتّجاها جديدا وتتّخذ طابعا يلائم ما يوحي به العصر من موضوعات.

أ-التجديد في الأغراض القديمة:

1- المديح: أصبحت قصائد المديح وثائق تاريخية لأنّها تصف الحروب والفتن الداخلية والثورات، وأبرزت أروع المعاني الإسلامية الّتي تسعى إلى الاهتمام بالفضائل المعنوية كرزانة العقل والحكمة

وسداد الرأي، كما انتشرت ظاهرة مدح المدن والتعصّب لها، وظهر الشعر الّذي يمدح الأحزاب السياسية والتعصّب لفئة منها ووصلت المبالغة إلى حدّ يفسد معه معنى المديح.

2- الهجاء: اتّجه الهجاء اتجاهاً جديداً يحمل في طيّاته الفساد وتتبّع العورات، وبسبب الحياة اللينة والرغيدة والفراغ وحاجة الناس إلى المسامرة فقد اتّجه الهجاء إلى إضحاك الناس والسخرية منهم، واتّباع المذاهب الوثنية المنحرفة.

3- الرثاء: اتّجه الرثاء اتجاهاً جديداً وهو رثاء المدن الزائلة الّتي تعرّضت للخراب ونزلت بها الكوارث، ورثاء الحيوانات بعد موتها والحزن على فقدها، واتجه الشعراء إلى استجلاب مشاعر الناس وعواطفهم في رثاء الملوك والقادة لإثارة الحمية في النفوس، وبسبب الامتزاج الثقافي دخلت لغة الشعراء بعض الألفاظ الأجنبية لا سيما الفارسية.

4- الوصف: تميّز شعر الوصف بالدقّة والتفصيل والتجديد بالتشبيه والاستعارة، وتحّول الشعراء من وصف المظاهر الحضارية القديمة إلى وصف الرياض المزهرة والأمطار والسحب والحيوان والطير والقصور والبساتين وغير ذلك ممّا جاءت به الحضارة العباسية، ونبغ فيه أبو نواس فوصف كلاب الصيد وآلاته، ورحلاته الّتي كان يقوم بها وتحدّث عن لذاته ولهوه في أيّام صيده.

ب-استحداث أغراض شعرية جديدة:

ظهر في العصر العباسي أنواع جديدة ومستحدثة من الشعر، منها:

1-الغزل بالمذكر والهجاء بالزندقة: هو شعر تمّ تطويره من شعر الغزل ، لكن لم يكن معروفا لدى الشعراء سابقاً، لذلك نعدّه غرضاً شعريا جديدا.

2-الشعر التعليمي: أصبح الشاعر ينظم القصص والمعارف والعلوم والسير والأخبار، وقد استحدث أبّان بن عبد الحميد هذا الفن الشعري الجديد حيث نظم قصص كتاب كليلة ودمنة.

3-شعر النوادر والفكاهات: ظهرت هذه الأشعار وكانت تقال في مجالس اللهو والسمر.

4-شعر الزهد: وهو فن يصوّر الحياة الدنيا على أنّها دار ممر لا تستحقّ ما نقوم به من أجلها، فهي فانية وزائلة وطريق إلى دار الخلود.

خصائص الشعر العباسي:

1-تعبير الشعر عن حياة الفرد: استمرّ الشعراء العباسيون باستخدام الأغراض الشعرية القديمة من مديح ورثاء وهجاء ونسيب وفخر مع استحداث التجديدات الّتي طرأت على العصر العباسي الحديث، وإضافة آثار الحضارة الجديدة ومطالب الأمراء والخلفاء، وبالغوا في تجديد المديح بشكل خاص وتمجيد ممدوحيهم والثناء عليهم بأكرم الخلال وأنبل الصفات سواء أكانت صدقًا أم كذبًا.

2-الصنعة الأسلوبية: ظهر التجديد في ألفاظ الشعر وأساليبه نظرًا لتأثير الحضارة الحضارة على رقّة الشعر وأساليبه والابتعاد عن الألفاظ الغريبة والركيكة مما جعل ألفاظ الشعر تسيل رقة وجمالًا.

3- الغناء: اتّجه الشعراء إلى اختيار الألفاظ الرشيقة والأوزان المستحدثة القصيرة لتتناسب مع الغناء الّذي كان مطلبًا في المجالس المهمة.

4- أدّى اختلاط العرب مع الأجانب إلى دخول بعض الألفاظ الأجنبية وشيوع المصطلحات العلمية على ألسنة الشعراء بعدما كانت حكرًا على الفلاسفة والعلماء.

5- المعاني: قام الشعراء بتجديد بعض المعاني القديمة بالزيادة أو الإيجاز. ابتكار بعض المعاني ودقتها واستقصائها. زيادة الصور الشعرية وبراعة الخيال فيها. ظهور أثر الفلسفة والعلوم على الشعر. الميل إلى المبالغة وكثرة الحكم والأمثال والتهويل.

6- المبنى الشعري والأوزان والقوافي: مالت القصائد في العصر العباسي إلى القصر والسهولة واستحدثت البحور الشعرية القصيرة مثل بحر الهزج والمجتثّ والمقتضب، كما ظهرت البحور المجزوءة في بحور الوافر والكامل والبسيط والخفيف.

7-تعدّد اتجاهات الشعر مثل الاتجاه العقلي وبرز فيه ابن الرومي، والاتّجاه البديعي وبرز فيه ابن المعتز، وتصوير الطبيعة وبرز فيه الصنوبري، والتعبير عن الذات وبرز فيه المتنبي، والتفكير الفلسفي وبرز فيه المعّري.

أعلام الشعر العباسي:

ظهر العديد من الأدباء في العصر العباسي، أبرزهم: بشار بن برد، أبو نواس، أبو العتاهية، مسلم بن وليد، أبو تمام، دعبل الخزاعي، البحتري، ابن الرومي، ابن معتز، أبو فراس الحمداني، المتنبي، الشريف الرضي، أبو العلاء المعرّي، ابن الفارض.

المحاضـــرة الحاديـــة عشـــر: الزهـــد في العصـــر العباســـي. قصـــيدة للمـــوت مـــا تلـــدون لأبي العتاهية.

هو اسماعيل بن القاسم كناه المهدي بالعتاهة. ولد سنة 130هـ الموافق لـ 748م في قرية عين التمر بكربلاء. اشتغل ببيع الفخار وكان من المقرّبين من الخليفة المهدي. درس مذهب المتكلّمين و الزهاد إلى أن زهد في الحياة قولا و معيشة. توفي سنة 210 هـ الموافق لـ 825 م.خلّف ديوانا شعريا يضمّ قسمين : الزهد و سائر فنون الشعر.

القصيدة

ما يدفعُ الموتَ أرصادٌ و لا حرسُ ما يغلبُ الموتَ لا جنٌّ و لا أنسُ.

ما إنْ دعا الموتُ أملاكا ولا سوقا إلاّ ثناهم إليه الصّرعُ و الخلسُ

للموتِ ما تلـدُ الأقـوامُ كلُّـهـم و للبِلى كلُّ ما بنوا وما غرسوا

هـلاَّ أُبـادر هذا الموتَ في مهـلٍ هـلاَّ أبـادره مـادام لي نفـس

ياخائفَ الموتِ لو أمسيت خائفه كانت دموعُك طولَ الدهرِ تَنْبَجِسُ

أمـا يهـولُك يـومٌ لا دفـاعَ له إذ أنت في غمراتِ الموتِ تنغمسُ

إيّـاك إيـاك والدنـيا ولـــذّتها فالموتُ فيـها لخلقِ الله مـفتـرسُ

إنَّ المنيةَ حوضٌ أنت تكرهُه و أنت عمّا قليل فيه منغمسُ

مالي رأيتُ بني آدم قد اقْتَتَلوا كأنّما هذه الدنيا لهم عرسُ

إذا وصفت لهم دنياهم ضحكوا و إن وصفت لهم أخراهم عبسوا

مالي رأيت بني الدنيا و إخوتها كأنّهم لكلام الله ما درسوا

الصرع : داء يفقد الانسان وعيه.

أملاكا: ملوكا.

سوقا :الرعية من الناس.

الخلس: اختلاط سواد الشعر مع بياضه و يقصد به الخوف و الفزع.

البلى: الفساد.

-الحقيقة الّتي يقرّها الشاعر هي أنّ الموت مآل كلّ مخلوق، وهذا مصداقا لقوله تعالى "كلُّ منْ عليها فانٍ و يبقى وجهُ ربّك ذو الجلالِ والإكرام."(الرحمن.26).

-الموت لا يميّز بين الخاص والعام.

-يحثّ الناس على التزوّد في الدّنيا للآخرة، لا أن يقتتلوا على أمور دنيوية زائلة.

معطيات النص

-الوعظ والإرشاد: يريد أن يقنع الإنسان التّائه بين مجالس اللهو والغناء أن ينتبه إلى حقيقة مصيره.

-استعمل الشاعر أساليب الإقناع من تحذير واستفهام...

-اتّسمت القصيدة بالوحدة الموضوعية لأنّ الشاعر يعالج موضوعا واحدا.

-تبدو شخصية الشاعر زاهدة، تاركة لملذّات الدّنيا ومحذّرة من اللّهث وراءها.

-استمدّ الشاعر أدلّته من القرآن الكريم والواقع المعيش ومن المنطق.

المحاضرة الثانية عشر: رثاء المدن والمماليك

فنّ الرثاء ويقال له التّأبين أيضا، و إذا كان المدح هو الثناء على الشخص في حياته فإنّ الرثاء هو الثناء على الشخص بعد موته، و تعديد مآثره، و التعبير عن الفجيعة فيه شعرا.

و الرثاء من فنون الشعر التقليدية، غير أنّ شعراء الأندلس لم يقفوا بهذا الفن عند حدّ رثاء موتاهم من الملوك والرؤساء و الأقارب والأحباب، و إنّما نراهم و لأسباب خاصّة بهم يتوسّعون فيه، ويطوّرون مفهومه، و ذلك برثاء مدنهم، تلك الّتي غلبهم عنها أعداؤهم النصارى و أخرجوهم منها مشرّدين في أنحاء الأندلس، كانوا يرون هزل ملوكهم و جدّ أعدائهم و يرون ديارهم تنزع منهم مدينة تلو مدينة، و يرون ملكهم الّذي أقامه الآباء والأجداد حصنا للإسلام تتداعى أركانه أمام أعينهم فيستولي عليهم الحزن ثمّ لا يملكون إلاّ أن يرثوه و يتفجّعوا عليه بشعر يقطر أسى وحسرة.

وقد قال شعراء الأندلس و أكثروا القول في رثاء مدنهم و دولتهم حتّى صار رثاء المدن و الممالك بسبب ذلك فنّا شعريا قائما بذاته في أدبهم.

ربّما نجد في أدب المشارقة شيئا من هذا القبيل، كقصيدة " ابن الرومي " الّتي رثى بها مدينة البصرة عندما أغار عليها الزنج سنة 255 هـ و استباحوا فيها الأموال و الأعراض. لكن المشارقة لم يتوسّعوا في رثاء المدن و الممالك توسّع الأندلسيين و لذلك لم يظهر هذا اللون من الشعر في أدبهم كما ظهر في الأدب الأندلسي فنا قائما بذاته . و ذكر صاحب "نفح الطيب " أنّ من أوّل ما استردّه الإفرنج من مدن الأندلس العظيمة مدينة طليطلة الّتي استولى عليها النصارى سنة 478 هـ بعد حصار طويل و كان سقوطها مصابا جللا هزّ نفوس الأندلسيين هزا عنيفا ، فقال قائلهم:

طليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا نبأ كبير

كفى حزنا بأن الناس قالوا إلى أين التحول والمسير

ولا ثمّ الضياع تروق حسنا نباكرها فيعجبنا البكور

ألا رجل له رأي أصيل به مما نحاذر نستجير؟

و قال " ابن خفاجة " في رثاء مدينة " بلنسية " الّتي سقطت في أيدي الأعداء سنة 488هـ:

عافت بساحتك العدى يا دار ومحا محاسنك البلى والنار

والطابع الغالب على هذا النوع من الرثاء هو الأسى العميق و التماس العظة و التآسي في قيام الدول ثمّ زوالها منذ القدم، و إرجاع نكبتهم إلى فعل الدهر حينا، و إلى أنفسهم حينا آخر، و تصوير ما أصاب الإسلام و المسلمين في الأندلس من ذلّ وهوان، و تعلّقهم بديارهم الجميلة الّتي أُجلوا عنها، و الفجع على الأهل و الرفاق المشرّدين ، و استنهاض همم المسلمين في شتّى الأقطار لمدّ يد المعونة إلى إخوانهم في الأندلس و الدعوة للذود عن الإسلام و التطلّع إلى المنقذ الّذي ينضوون تحت علمه في معركة المصير.

المحاضرة الثالثة عشر: نكبة الأندلس لأبي البقاء الرندي

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي، من شعراء القرن السابع الهجري و خاتمة أدباء الأندلس عاصر تساقط المدن الأندلسية في أيدي الإسبان و كان لذلك أثر عميق في نفسه دفعه إلى تسجيل تلك الأحداث، توفي سنة 696هـ

نونية " أبي البقاء الرندي " هي أروع و أشجى ما جادت به قريحة شاعر أندلسي، لا في رثاء مدينة بعينها بل في رثاء الأندلس، كلّ الأندلس و تصوير نكبته الّتي تعلو على كلّ فجائع الدهر و تتحدّى السلوان و النسيان. وكأنّ بأبي البقاء في مرثيته الخالدة يتحدّث بلسان كلّ الأندلسيين، ويشعر بمشاعرهم، و يترجم عن ثورتهم الدفينة المكبوحة فكلّ بيت فيها مشحون بالأسى مبلّل بالدموع تفجّعا بما آل إليه الإسلام و المسلمون بالأندلس.

لكلّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسانُ

هي الأيّامُ كما شاهدتها دُولٌ مَن سَــرَّهُ زَمنٌ ســاءَتهُ أزمــانُ

دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاءَ له هــوى لــه أُحدٌ وانهدْ ثــهلانُ

فاسأل (بلنسيةً) ما شأنُ (مُرسيةً) وأينَ (شاطبةٌ) أمْ أينَ (جَيَّانُ)

وأين (قُرطبة)ٌ دارُ العلوم فكم من عالمٍ قد سما فيها له شانُ

قواعدٌ كنَّ أركانَ البلاد فما عسى البقاءُ إذا لم تبقَ أركانُ

تبكي الحنيفيةَ البيضاءُ من أسفٍ كما بكى لفراق الإلفِ هيمانُ

على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عُمرانُ

حيث المساجد قد صارت كنائسَ ما فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ

حتّى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ حتّى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان؟

يا من لذلةِ قومٍ بعدَ عزّهمُ أحال حالهمْ جورُ وطُغيانُ

بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم واليومَ هم في بلاد الكفرِ عُبدانُ

ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعهمُ لهالكَ الأمرُ واستهوتكَ أحزانُ

لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

-ذكر الشاعر حقيقة وهي أنّ كلّ شيء آخذ في التناقص والزوال إذا اكتمل نموّه، وهذه سنّة الله في خلقه، لذا فعلى الإنسان ألاّ يغترّ بطيب عيشه فإنّ مصيره إلى الزوال، وهذه الأمور متغيّرة متبدّلة، فمن سرّه زمن فقد ساءته أزمان، وهذه الدّنيا لا تدوم على حال واحدة فهي في إقبال وإدبار.

ولك أن تسأل بلنسية ما حال مرسية، وأين هي شاطبة و قرطبة الّتي كم فيها من عالم قد سمت وارتفعت حاله، تلك العواصم الّتي كانت منارات للعلم ومعاقل الإسلام سقطت في أيدي النصارى فما ينفع البقاء إذا لم تبق أركان.

-ثمّ انتقل إلى تصوير حال الإسلام بعد سقوط المعاقل الإسلامية حيث أصبح حزينًا فها هي الحنيفية تبكي من شدّة حزنها، كما يبكي المحبّ لفراق إلفه وحبيبه، نعم تبكي على هذه المعاقل الّتي خلت من الإسلام وأقفرت، فصارت الأندلس كلّها نصرانية، عامرة بالكفر وجعلت النواقيس في الصوامع بعد الأذان، وفي مساجدها الصور والصلبان، بعد ذكر الله وتلاوة القرآن، فيا لها من فجيعة ما أمرّها، ومصيبة ما أعظمها ، وطامّة ما أكبرها ، فحتّى الجمادات تأثّرت لما حدث فأخذت المحاريب والمآذن تبكي وترثي نفسها.

-ثمّ أخذ الشاعر يذكّر بحال المسلمين بعدما تحوّلت عزّتهم وقوّة منعتهم لما شاعت بينهم المنكرات بلا نكير إلى ذلّ وهوان وانكسار ، سامهم إيّاه النصارى، حتّى بيع سادة المسلمين آنذاك في أسواق الرقيق وهم يبكون، وحالوا بين الأمّ وطفلها وفرّقوا بينهما عند البيع كما تفرّق الأرواح والأبدان. فلو رأيت هذا المنظر وتلك الذلّة لراعك الأمر ولأحزنك، فأيّ كربة وأيّ شدّة مرّت على المسلمين، فلمثل هذا يذوب القلب من الكمد والحزن، ذلك إن كان في القلب إسلام وإيمان.

الخصائص الفنية

– أفكار النص في مجملها تخدم الموضوع الّذي تناوله الشاعر، يبدأ نصه بحكمة في إشارة إلى أنّ الموضوع المتحدّث عنه يشير إلى التغيير من الحسن إلى السيئ، وينتقل للحديث عن لب الموضوع: ما أصاب ويصيب بلاد الأندلس من مصائب عظيمة تصعب المواساة فيها، اهتزت لهولها جبال شبه الجزيرة العربية ، وبكت الشريعة الإسلامية آسفة على فقدان مواقع لها وحلول الكفر بدل الإيمان فيها.

– كتب الشاعر نصّه في القرن الهجري السابع، تدفعه مشاعر الألم لما يحلّ بالإسلام والمسلمين في الأندلس، لذا جاءت عاطفته مزيجاً من العاطفة الذاتية والدينية، واستخدم ألفاظاً دالة على المعاناة والحزن، ولأنّ غرض الشاعر استثارة همم الأمّة الإسلامية لنصرة إخوانهم فقد استخدم مفردات سهلة مألوفة.

وعموما فالقصيدة تتّسم بـ:

1–صدق العاطفة: ويتّضح ذلك من خلال ما ورد في هذه القصيدة من معان معبّرة، وإضفاء طابع الحزن عليها.

2–سهولة الألفاظ والابتعاد عن التعقيد اللفظي والمعنوي وذلك لأنّ الموقف موقف بكاء، ولا يحتمل ذلك.

3– تضمين الحكمة لأخذ العبر من الأمم السابقة كما ورد في الأبيات الثلاثة الأولى ، وذكر أحوال الأمم السابقة.

4– استخدام أسلوب الاستفهام بكثرة لأغراض بلاغية في القصيدة كما في البيت الرابع عشر حيث أفاد الاستفهام معنى التحسر.